

و تحرك منه في هؤلاء وهؤلاء ما تحرك من عزم ونشاط ونفاذ وحيوية وتوقد ومضاء. وكم يافع منطفئ الجذوة كليل الحد تسقطه الفتوة من حسابها وإن أعجبك منظره، وكم معمّر متوهج الجمرة مشبوب الهمة تحتضنه الفتوة الاصيله، و إن نبا في العين مظهره.

و كانت الفتوة تزيد في صاحبنا على نفسها في غيره زيادة مضاعفة. كان لا يشك هو ولا يشك معه عدوه ولا صديقه في أن لسيفه ميزة، فإذا أهدت السيوف إلى خصومها ضربا واحداً من الموت، فان سيفه يهدى إلى خصمه وخصم صديقه ضربين؛ أيسرهما فناء الجسد، وأشقهما لعنة الابد. ثم كانت تضاعف فتوته ميزة أخرى لنفسه كميزة سيفه.

كان يعلم هو وعدوه وصديقه لا يجهلان أنه مع الحق سلم أو قتل، وأن خصمه مع الباطل انتصر أو خذل، وأية حماسة ادعي للفتوة من حماسة إيمان تهدي إلى عدوها موتين أحدهما أخزى من الآخر، وتدخر لصديقها حياتين أخراهما أبقى من الأولى؟

كهولة حرة برة بكرت بكهولها على الإسلام، قدمته أحد سبعة سابقين أولين، فنهض بأجسم أعباء الرسالة وأشقها، نهوض جهاد متصل، وتضحية صابرة، وكفاح مر.

و شيخوخة لم تقصر عن كهولها حرية ولا برا، قدمت صاحبها طليعة وفاء لروح الإسلام، فكان من الاحاد الأول الناهضين بأعباء الرسالة، نهوض جهاد متصل، وتضحية صابرة وكفاح مر، فما التقت جبهتا صراع إلا كان (علامة هدى) في إهداهما سبيلا، وأعدلها قضية.

كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم راية للمؤمنين لم يتفقدوها الرسول في محنة قط، إلا وجدها رفاقة تقتحم الهول على (الشرك) عنيفة به صامدة لعنفه.

ثم ظل بعد النبي راية للمؤمنين لم يتفقدوها روح الرسول في محنة قط إلا وجدها هناك رفاقة تقتحم الهول على (الردة) عنيفة بها صامدة لعنفها.

قال المحدث: هذا كله جعل من (عمار) بن ياسر (علامة هدى) يموت